مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

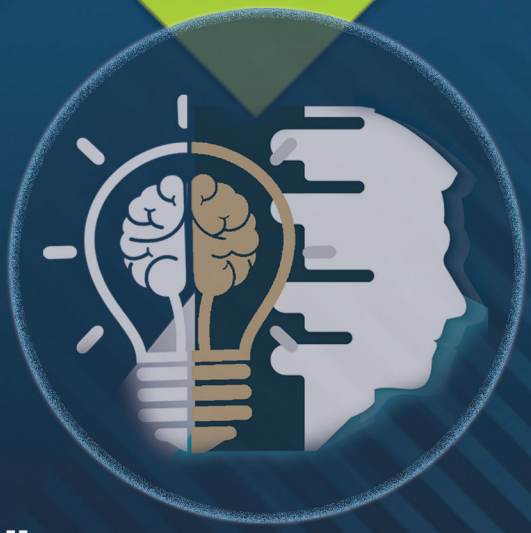

السنة الثامنة، العدد 27
المجلد الأول، سبتمبر 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دوليًّا، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.
15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
17. لا تردّ البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنيّاً.

المشرف العـــام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هـيـئـــة الـتـحـريـــر

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري
أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري
أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني
أستاذ الإدارة التربوية

د. ياسر بن عايد السميري
أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي
أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د. نوف بنت عبدالله السويداء
استاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري
أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان
سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري «دراسة تحليلية لنماذج مختارة»

The Manifestations of Homeland in the Poetry of Tahir Zamakhshari «An Analytical Study of Selected Models»

د. زهير بن حسن بن سعيد العمري
أستاذ الدراسات الأدبية المشارك، قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب، جامعة نجران، المملكة العربية السعودية.
https://orcid.org/0009-0005-5574-8141

Dr.zuhir Hassan Saeed Alamri
Associate Professor of Literary Studies, Department of Arabic Language, College of Sciences and Arts, Najran University, Kingdom of Saudi Arabia

(تاريخ الاستلام: 2025/04/26، تاريخ القبول: 2025/05/30، تاريخ النشر: 2025/06/20)

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري من خلال تحليل عدد من النماذج الشعرية المختارة. ويركز البحث على استقراء كيفية تعبير زمخشري عن حبه الوطن وتقديره له، من خلال استخدامه للأدوات البلاغية والصور الفنية التي استحضرها في تجربته الشعرية؛ حيث يهدف إلى الكشف عن البنية الجمالية لتلك التجليات، وتحليل مضمونها الدلالي، بالإضافة إلى تتبع الأثر الموسيقي في تشكيل التعبير الوطني داخل النص الشعري. يمهد البحث بتقديم تأصيلي لمصطلح «الوطن» في الشعر العربي، ويرصد الخلفية الثقافية والإبداعية لطاهر زمخشري في محاولة لفهم السياقات التي أنتجت هذا الخطاب الشعري الوطني، وانقسم متن البحث إلى مبحثين رئيسيين: الأول يركز على الصور الوطنية في شعر زمخشري، مستعرضًا مقطوعاته الوطنية. والثاني، يعنى بتتبع دلالات الألفاظ والتأثيرات الموسيقية في النص، مع التركيز على دور التشبيه في إبراز الصورة الشعرية وتأثيره في التعبير عن المشاعر الوطني. وتنتهي الدراسة بخاتمة تتضمن تلخيصًا للنتائج الرئيسية، مؤكدة أن الوطن يشكل محورًا مركزيًا في شعر طاهر زمخشري، وموضحة دور المزج بين العاطفة والرمزية في تشكيل الصور الشعرية بأسلوب فني يتجاوز البنية التقليدية نحو فضاء شعري إبداعي متجدد، كما كشفت الدراسة عن تكامل التأثير الموسيقي مع التعبير العاطفي في إبراز المشاعر الوطنية في نصوصه.

الكلمات المفتاحية: الوطن، تمثلات، طاهر زمخشري، الصورة الشعرية، الموسيقى.

Abstract

This study aims to explore the manifestations of homeland in the poetry of Tahir Zamakhshari by analyzing a selection of poetic models. The research focuses on examining how Zamakhshari expresses his love for and appreciation of the homeland through the use of rhetorical devices and artistic imagery employed in his poetic experience. It seeks to uncover the aesthetic structure of these manifestations, analyze their semantic content, and trace the musical impact in shaping national expression within the poetic text.The study begins by providing a conceptual framework for the term “homeland” in Arabic poetry, highlighting the cultural and creative background of Tahir Zamakhshari to understand the contexts that shaped his nationalist poetic discourse. The body of the research is divided into two main sections: the first section examines the national imagery in Zamakhshari’s poetry by analyzing selected national-themed poems, while the second section delves into the semantic implications of lexical choices and musical effects, with a particular focus on the role of simile in constructing poetic imagery and conveying nationalist sentiment.The study concludes with a summary of the key findings, emphasizing that homeland serves as a central axis in Zamakhshari’s poetry, illustrating how he effectively merges emotion and symbolism to create poetic imagery that transcends traditional structures, evolving into a renewed poetic space. Additionally, the study reveals the interplay between musical influence and emotional expression in articulating nationalist sentiment in Zamakhshari’s poetic texts.

Keywords: :Homeland, Manifestations, Tahir Zamakhshari, Poetic Imagery, Musicality.

للاستشهاد: العمري، زهير بن حسن بن سعيد. (2025). تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري (دراسة تحليلية لنماذج مختارة). *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل*، 01 (27)، ص131 – ص144.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث

Funding: There is no funding for this research

المقدمة:

يشغل «الوطن» موقعًا مركزيًا في بنية الخطاب الشعري العربي، باعتباره مكونًا وجدانيًا وثقافيًا تتداخل فيه مشاعر الانتماء مع ملامح الهوية؛ والشعر لا يقدم الواقع بصورته المباشرة، بل يعيد تشكيله وفق رؤية الشاعر وتجربته الذاتية، ليظهر الوطن في النصوص الشعرية من خلال تمثيلات ذاتية تعبر عن موقف الشاعر وعلاقته بالأرض والواقع.

ويعد الشاعر طاهر بن عبد الرحمن بن محمد زمخشري (1914–1987) من أبرز رموز الشعر السعودي الحديث، ومن الأصوات الشعرية التي انشغلت بالذات والوطن والإنسان معًا، وقد أسهمت البيئة الحجازية التي نشأ فيها؛ بما تحمله من تنوع ثقافي وتاريخي وحضاري في تشكيل ملامح تجربته الشعرية، ومنحته أفقًا تعبيريًا رحبًا لرسم ملامح الوطن؛ إذ اتسم شعره بعمق وجداني واضح، وتمثلت فيه موضوعات الحب والحنين والوفاء، وداخل فيها الحس العاطفي مع البعد التأملي، جامعًا بين الشفافية والرمزية.

وتسعى هذه الدراسة إلى استقصاء تجليات الوطن في شعر طاهر زمخشري من خلال تحليل نماذج شعرية مختارة تعكس ملامح تجربته الشعرية، وترصد أثر البيئة والموقف الذاتي في تشكيل صورة الوطن.

أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث من خلال سعيه إلى الكشف عن البنى الشعورية والجمالية التي تشكل مفهوم الوطن في الشعر السعودي الحديث، وذلك عبر تحليل تجربة الشاعر السعودي «طاهر زمخشري» بوصفها نموذجًا دالاً على تفاعل الذات الشاعرة مع رمزية الوطن وتجلياته.

كما يسعى البحث إلى استقصاء الأشكال التعبيرية التي تتوسط هذا التفاعل وتنتج خطابًا شعريًا يستوعب التوتر بين الانتماء والهوية، ويكشف عن دور الأدب في تشكيل الهوية وتعزيز الانتماء للوطن.

أسباب اختيار الموضوع

جاء اختيار موضوع «تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري... دراسة تحليلية لنماذج مختارة»؛ انطلاقًا من أهمية التمثلات الوطنية في تجربته الشعرية وما تنطوي عليه من بُعد وجداني وثقافي عميق، وقد بدا واضحًا أن «زمخشري» يجسد في شعره رؤية خاصة للوطن تتشكل من تفاعل الذات مع المكان والتاريخ والهوية. ومن هنا سعى البحث إلى استقصاء الأبعاد الرمزية والفنية لهذا التفاعل بوصفه نموذجًا لتمثل الوطن في الشعر السعودي الحديث.

وقد اقتصر البحث على تحليل عدد محدود من القصائد المنتقاة لطاهر زمخشري التي تمثل البعد الوطني في شعره، وذلك انطلاقًا من تركيز منهجي يستند إلى الكثافة التحليلية واستجلاء أعمق تمثيلات الوعي الوطني.

وتم اختيار هذه النماذج بعناية؛ لكونها تعبر بوضوح عن تداخل الذات الشاعرة مع البيئة الثقافية المحيطة، وتكشف عن رؤيته المتفردة تجاه الوطن، بما يحقق للبحث مسارًا متماسكًا، وإطارًا واضحًا في الطرح والتحليل.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري، من خلال تحليل الصور الشعرية والتراكيب البلاغية التي استخدمها الشاعر في التعبير عن مشاعر الانتماء الوطني وتجسيد تجربته الذاتية، ويركز البحث على استقصاء تأثير البيئة الحجازية في تشكيل الهوية الوطنية في نصوص زمخشري. كما يسعى البحث إلى تقديم قراءة نقدية للنصوص الوطنية، مع تسليط الضوء على الصورة الشعرية ودلالاتها، ودور التشبيهات المرتبطة بصورة الوطن في إبراز المشاعر الوطنية وتجسيد الذات الشعرية.

مشكلة البحث

يشكل الوطن في الشعر العربي فضاءً وجدانيًا وثقافيًا تبرز من خلاله مشاعر الانتماء والحنين والتجربة الذاتية للشاعر، وفي أعمال طاهر زمخشري تتبدى ملامح الوطن بشكل واضح، إذ يعبر عن ارتباطه بالمكان الذاكرة عبر توظيف الصور الشعرية والأدوات البلاغية. ومع ذلك فإن دراسة هذا الحضور في ضوء الأبعاد الفنية والموسيقية والرمزية لم ينل الاهتمام الكافي.

لذلك تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن الكيفية التي استطاع بها طاهر زمخشري التعبير عن وطنه من خلال الصور الشعرية، ودور العاطفة والرمزية في تشكيل تلك الصور، وأثر الموسيقى الشعرية في إبراز المشاعر الوطنية وتكثيف الأثر العاطفي في نصوصه.

أسئلة البحث

سعى البحث إلى الإجابة عن أسئلة عدة أبرزها:

1. مالصور الشعرية التي وظفها طاهر زمخشري للتعبير عن الوطن والانتماء؟
2. ما تأثير البيئة الحجازية في تشكيل الصور الوطنية في نصوص زمخشري؟
3. ما دور الموسيقا الشعرية في تعزيز الإيقاع العاطفي وإبراز المشاعر الوطنية في نصوص طاهر زمخشري؟
4. كيف استطاع طاهر زمخشري أن يوظف التشبيهات والاستعارات لتجسيد المعاني الوطنية في شعره؟

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه المنهج الأنسب لاستقراء الظواهر الفنية والدلالية في النصوص الشعرية، إلى جانب المنهج الإنشائي الذي يُعنى بتحليل البنية الداخلية للنصوص وتفكيك العلاقات الفنية والبلاغية بين مكوناتها، وقد

استند البحث إلى آليات القراءة النصة الحديثة؛ للكشف عن تمثلات البنية الوطنية في شعر «طاهر زمخشري»، مع التركيز على البناء الفني للعناصر الشعرية ودورها في تشكيل المعاني الوطنية.

الدراسات السابقة

إنه في سياق الاطلاع على الجهود العلمية المرتبطة بموضوع «تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري...دراسة تحليلية لنماذج مختارة» لم تتوفر دراسة مستقلة تناولت هذا الموضوع بشكل شامل ومباشر؛ ومع ذلك، وجدت دراسات تناولت جوانب مجاورة تلامس أبعادًا من الموضوع؛ وهي على النحو الآتي:

1. الجعيد، عطا الله مسفر (1422/2001) الوطن في الشعر السعودي المعاصر، رسالة ماجستير، السعودية: جامعة أم القرى

ورصدت هذه الدراسة مسار حضور الوطن في الشعر السعودي بشكل عام، واتخذت طابعًا وصفيًا أقرب إلى التتبع الزمني، مع إشارات إلى أبرز الشعراء الذي تناولوا مفهوم الوطن، بينما تحاول الدراسة الحالية « تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري... دراسة تحليلية لنماذج مختارة» أن تنفذ إلى تمثلات الوطن العميقة في تجربة شعرية واحدة، وهي تجربة الشاعر طاهر زمخشري، لتحلل من خلالها البنية البلاغية والصور الشعرية والتأثير الموسيقي، وجماليات التشبيه والتعبير.

2. الرشادة، منى بنت صالح محمد (2020) الاغتراب في شعر طاهر زمخشري: ديوانا عودة الغريب وألحان مغترب نموذجًا، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، 14(1)

وتتناول هذه الدراسة ظاهرة الاغتراب في ديواني «عودة الغريب» و «ألحان مغترب» مستكشفة تأثير مشاعر الاغتراب المكاني والنفسي في شعره، بينما ركزت الدراسة الحالية «تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري.. دراسة تحليلية لنماذج مختارة» على تحليل البُعد الوطني في شعر زمخشري، مستعرضًا المقطوعات الوطنية والجانب الموسيقي، وكذلك الصورة الفنية من خلال اللغة والأسلوب والتشبيه والموسيقى بشقيها الداخلي والخارجي.

3. عيد، عبد الفتاح أحمد (2020)، نزعة الوفاء في شعر طاهر زمخشري من التصوير إلى الدلالة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مصر: جامعة قناة السويس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (35)

تتفق الدراسة الحالية «تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري... دراسة تحليلية في نماذج مختارة» ودراسة «نزعة الوفاء في شعر طاهر زمخشري» في استخدام المنهج الوصفي التحليلي لتحليل شعر زمخشري، لكنهما تختلفان في دراسة موضوعات البحث؛ حيث تركز الدراسة الحالية على البُعد الوطني وتجليات حب الوطن وتتطرق إلى الجانبين الفني والموسيقي، بينما تركز الدراسة الأخرى على مفهوم الوفاء وانعكاسه في علاقاته وقضاياه والدلالات العاطفية والاجتماعية للوفاء في شعره.

4. القرني، سعيد محمد (2023)، ديوان «ألحان مغترب» للشاعر طاهر زمخشري: دراسة أسلوبية، مجلة بحوث كلية الآداب، مصر: جامعة المنوفية – كلية الآداب، 1(134)

تتقاطع الدراسة الحالية «تمثلات الوطن في شعر طاهر زمخشري.. دراسة تحليلية لنماذج مختارة» مع دراسة «ألحان مغترب: دراسة أسلوبية» لسعيد بن محمد بن عبد الله القرني، من حيث اهتمامهما في تحليل الجوانب الفنية لشعر زمخشري، غير أن الدراسة الحالية تنفرد بتركيزها على البعد الوطني وتجليات الانتماء في نصوص الشاعر، في حين أولت الدراسة السابقة اهتمامًا أوضح بالخصائص الأسلوبية.

ويكمن الفرق الجوهري بين الدراستين في زاوية المعالجة؛ إذ تتناول الدراسة الحالية موضوع حب الوطن وتجلياته الموضوعية والدلالية داخل القصائد، بينما تركز دراسة «ألحان مغترب» على تحليل البنية اللغوية الإيقاعية من منظور أسلوبي صرف، دون الغوص في قراءة النسق الوطني أو خلفياته الثقافية المصاحبة له، وهو ما يمنح الدراسة الحالية طابعًا تحليليًا أوسع وأكثر تخصصًا في الكشف عن الوعي الوطني والشعور بالانتماء في شعر «زمخشري».

الهيكل العام المقترح للدراسة:

اقتضت طبيعة الموضوع أن يشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين؛ يسبقهما تمهيد، وتتلوهما خاتمة، تتبعها الفهارس الفنية.

المقدمة:

- أسباب اختيار الموضوع
- أهمية البحث.
- أهداف البحث.
- منهج البحث
- الدراسات السابقة

التمهيد:

أولاً: مفهوم الوطن

ثانياً: نبذة عن طاهر زمخشري.

المبحث الأول: صور الوطنية في شعر طاهر زمخشري.

أولاً: الولاء والانتماء

ثانياً: الطبيعة والتأمل

ثالثاً: الحنين والشوق

المبحث الثاني: الدراسة الفنية

أولاً: اللغة والأسلوب

ثانياً: التشبيه وأثره في إبراز الصورة الشعرية

ثالثاً: الموسيقى والإيقاع

الخاتمة: رُصدت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد:

تنبع الحاجة إلى تمهيد نظري وسياقي يمهد لقراءة النصوص ويضيء خلفياتها، ومن هنا جاءت ضرورة التوقف عند محورين رئيسين، وهما على النحو الآتي:

أولاً: مفهوم الوطن

لا شك أن مصطلح «الوطن» من أكثر المصطلحات التي أخذت حظاً واسعاً من اللغويين في التعمق في معرفة معانيه ومقاصده، نظرًا لما يحمله من أبعاد معنوية ووجدانية تتصل بالهوية والانتماء، وتشير أغلب المعاجم العربية القديمة إلى أن الوطن هُو المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان، وطن بالمكان، وأوطن أقام وأوطنه: اتخذه وطنًا، ويقال: أوطن فلأن أرض كذا أي اتخذها محلًا ومسكنًا يقيم فيه. أما المواطن: فكل مقام قام به الإنسان الأمر فهو موطن له، بقولك: إذا أتيت فوقفت في تلك المواطن فادع الله لي ولإخواني، ومواطن مكة، مواقفها ... وأوطان الغنم والبق: مرابضها وأماكنها، التي تأوي إليها...الخ (ابن منظور، 1999، ج.15، ص.339).

وقد جاء حب الوطن في القرآن الكريم تأكيدًا على أنه قيمة فطرية عظيمة، جبلت عليها النفوس، حيث يظهر ذلك في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص، آية 85)، وفسر العلماء هذه الآية بأنه تحمل بشارة للرسول –صلى الله عليه وسلم– بالعودة إلى مكة موطنه الأول بعد هجرته منها.

وقد ورد عن ابن عباس –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لمكة: «ما أطيبك من بلد، وما أحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» (الترمذي، ج5، ص. 722)

ومن الملاحظ أن المفهوم الأصلي للوطن ارتبط بالمكان الذي يسكنه الإنسان، ويتخذه مقرًا له، أيّا كانت طبيعته، سواء أكان بيتًا أم أرضًا أم حتى كيانًا رمزياً وما إلى ذلك، وورد في المخصص: «صَاحِبُ الْعَيْنِ: أَقَمْت بِالْمَكَان وَغَنِيت غَنِيّ، وَالمغَانِي: الْمَنَازِل. وَقِيل: الْمَنَازِل الَّتِي كَانَ بِهَا أَهْلُهَا، ثم ظعنوا..» (ابن سيده، 1319، ج.12، ص.62)

وقد تداول الشعراء مفردة الوطن على ألسنتهم بمعنى المنزل والبيت كثيراً، ليس في الجاهلية فحسب، بل في العصور المتتابعة، كما رأينا عند الصمة القشيري الذي أخذه الحنين إلى «نجد»، وحن إليها وتغزل فيها فقال (القشيري، 2003، ص.94):

أحن إلى نجـــــدٍ وإني لبائسُ
طِوالَ الليالي من رجوعٍ إلى نجدِ
فإنَّكَ لا ليلى ولا نجدَ فاعترِف
بهجرٍ إلى يوم القيامـــةِ والوعدِ

إن مفهوم الوطن عند شعرائنا القدامى ربط ربطًا وثيقًا بين المواضع والمنازل والمرابع من جهة، وبين الناس الذين يسكنون فيها، وهم أقرباء وأنساب تشدّهم إلى بعضهم رابطة الدم بالدرجة الأولى من جهة أخرى.

وفي النص السابق نلاحظ أن العيش لا يحلو ولا يصبح جميلاً إلا عندما يحل «القوم نجداً»، حيث يتبين أن المكان لا يكتسب جماله وتفرده إلا بعد مفارقته، حيث يتحول إلى صورة مثالية محفوفة بالحنين.

ومن هنا أيضًا رأينا امرأة مثل «نائلة بنت الفرافصة الكلبية»، تكره فراق أهلها وصحبها ومنازل قومها، حتى لو كانت تزفُ إلى خليفة المسلمين، أو من سيصبح خليفة عليهم وهو عثمان بن عفان –رضي الله عنه–، ولهذا تقول معاتبة أخاها ضباً، وفي ذلك تقول (ابن عساكر، 1995، ص. 136):

ألسْتَ ترى باللهِ يا ضَبُّ أنَّني
مصاحِبَـــــةً نحو المدينة أركبا
أبى اللهُ إلا أنْ تكوني غريبَـــة
بيثْرِبَ لا تلْقَيْنَ أُمَّـــا ولا أَبَا

ويشكل هذان البيتان نموذجاً رفيعًا لتجسيد البعد النفسي لفكرة الوطن في الشعر العربي، وترى الشاعرة هنا أن الانتقال من موطنها إلى «يثرب» موطنًا غريبًا مجوفًا، لا يحمل لها سوى الاغتراب والانفصال عن الجذور.

ثانياً: الشاعر طاهر زمخشري

يعد طاهر بن عبد الرحمن زمخشري من أبرز الأصوات الشعرية في المملكة العربية السعودية خلال القرن العشرين، وقد ولد في مكة المكرمة في بيت الكاظلي في 27 رجب 1332هـ، 22 يونيو 1914م، وبدأ حياته التعليمية في كتاب النوري للشيخ سليمان نوري ووالده الشيخ عبد المعطي إبراهيم النوري بحارة الباب، ثم تابع دراسته بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة التي أنهى تعليمه فيها عام 1929م، وقد وافته المنية في الثاني من شوال 1407هـ الموافق 29 مايو 1987م في مدينة جده ودفن بمسقط رأسه مكة المكرمة بمقبرة المعلاة (مصطفى، 1981، ص. 7-13).

بدأ زمخشري حياته المهنية في سن مبكرة، وتحديداً في الثامنة عشرة من عمره بالتنقل بين عدة وظائف حكومية وغير حكومية في الفترة من 1349هـ إلى 1389هـ (مصطفى، 1981، ص.15).

مال الشاعر «طاهر زمخشري» إلى الأدب والشعر منذ طفولته متأثرًا بالشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي رئيس المحكمة الشرعية التي كان والده يعمل بها، وبالقاضي الشيخ عرابي بن محمد بن صالح سجيني الذي كان يشجعه على القراءات العامة ففتحت أمامه مجالاً أوسع للعلم والمعرفة، وظهر نبوغه الشعري في الخامسة عشرة من عمره وهو في الصف الدراسي السابع بمدرسة الفلاح (قناة مركز حمد الجاسر على اليوتيوب، 1985).

وتعددت أغراضه الشعرية ما بين الدينية، والوطنية، والاجتماعية، والرومانسية، والسياسية، وألف بعض المسرحيات الشعرية، وترجمت بعض قصائده بواسطة منظمة اليونيسكو إلى اللغات الإنجليزية، الفرنسية، والألمانية (قناة زمخشري على اليوتيوب، 2014).

ومن أعماله: على الضفاف 1961، أغاريد الصحراء 1958، عودة الغريب 1963، ألحان مغترب 1963، معازف الأشجان 1976، حقيبة الذكريات1977م، نافذة على القمر 1978، عبير الذكريات 1980، وصدر له مجموعة النيل1984، وهي مجموعة الدواوين التي أصدرها في مصر، وأصدر مجموعة الخضراء 1982، وهي مجموعة الدواوين التي أصدرها في تونس.

المبحث الأول: صور الوطنية في شعر طاهر زمخشري

تنوعت مظاهر الوطنية في شعر طاهر زمخشري، واتخذت صيغًا خاصة تميّزه من بقية الشعراء السعوديين؛ وذلك بالنظر إلى خصوصية تجربته الشعرية، وتفرده في التعبير عن مشاعره الوطنية ضمن سياقات حياتية ومعيشية تركت أثرًا عميقًا في وعيه وشكلت ملامح خطابه الشعري.

ومن خلال تحليل نصوصه، يمكن تلمس عدد من التصورات المتباينة لفكرة الوطن، ومن أبرزها:

أولاً: الانتماء والولاء

يتجلى الانتماء والولاء في شعر طاهر زمخشري بوصفهما علاقة وجدانية راسخة، تعبر عن ارتباط عميق بين الذات والوطن، تتجاوز الأبعاد الشكلية أو الشعارات الخطابية إلى التزام داخلي أصيل، ويظهر حب الوطن والولاء له في تفاصيل قصائده، مستلهمًا الأحداث والظروف الاجتماعية والثقافية التي أحاطت بتجربته.

ورافق الشاعر «زمخشري» مراحل تأسيس الوطن، واستمر معها مصوراً لثوابته الإسلامية المتينة، ولأهدافه السامية؛ فالتغني بالوطن ومناجاته في شعر طاهر زمخشري غرض واسع؛ فلا يكاد يخلو ديوان من دواوينه من قصائد وطنية، تتجلى فيها صور الانتماء والولاء للوطن بشكل عميق يعكس مدى ارتباط الشاعر بوطنه ومكانته في قلبه، وتصوير المشاعر الملتهبة والعواطف المتوقدة بحب الوطن.

وتتجلى هذه العلاقة الوجدانية بوضوح في قصيدته(بلادي) حيث يستحضر الوطن بضمير المتكلم ليعبر عن وحدة الكيان بين الشاعر ووطنه، ويتحدث إليه لا بوصفه أرضًا أو علمًا، بل بوصفه وجدانًا حيًا يسكنه، وفيها يقول (زمخشري، 1984، ص.351):

بِـــــلَادِي فِـدَاؤُكَ رُوحِي وَعَيْنِي
لِنُورٍ يَشِـعُ مِنَ الْمَسْجِـــــــدَيْنِ
بِـــــلَادِي بِـلَادِي بِـلَادُ الْهُدَى
تَجَاوَزَتِ بِالْعَـدْلِ أَقْصَى الْمَـــدى
فَكُنْتِ نَشِيدًا طَرُوبَ الصَّـــــدَى
وَمَا زَالَ يَهْتِفُ فِي الْخَافِقِينَ بِلَادِي

يفتتح «زمخشري» قصيدته بإعلان وجداني صريح، يعكس اندماجه الكلي مع كينونة الوطن، ولا تقف البنية العاطفية عند حدود الانفعال اللحظي أو التعبير الخطابي، بل يعبر عن رؤية فلسفية للولاء؛ قوامها التماهي الكلي بين الذات والوطن، ويعكس استخدامه لكلمة «فداؤك شعوراً صادقًا بأن الوطن يستحق التضحية الكاملة، ليس فقط بالماديات، ولكن أيضاً بالروح والبصر، وهما رمز الحياة والرؤية، وتدل هذه المفردة أن ولاء الشاعر يتجاوز الحدود الجسدية إلى مستويات أعمق روحيًا ووجدانيًا.

ويبرز «زمخشري» في هذا المقطع قدرته على تشكيل صورة الوطن عبر لغة رمزية مركبة، حيث يستثمر مفردات الانتماء لتوسيع دلالة الوطن لتشمل الوجود كله، فيقول «فداك فؤادي وروحي وعيني»، وهي ثلاثية ترمز إلى تكامل الكيان الإنساني (العاطفي، الوجودي، الإدراكي) ما يضفي على الوطن طابعاً قدسياً، ويصبح حب الوطن جزءاً من التزام ديني وقيمة روحية تعلو فوق الاعتبارات العادية.

ولا يبدو الولاء قراراً شعوريًا عابرًا، بل هو ضمن منظومة قيمية متجذرة في النسيج الأخلاقي للذات، فالشاعر لا يضحي لأجل الوطن بوصفه تكليفًا، بل هو يتماهى معه بوصفه ضرورة وجودية، وكأن فناء الذات هو سبيل تحققها.

ولا يقتصر الوطن على المدلول المكاني، بل يتحول إلى رمز مركزي لقيمة أخلاقية كبرى، يمثل ذروة الارتباط الوجداني والروحي «بلادي بلادي بلاد الهدى، تجاوزت بالعدل أقصى المدى» حيث يرتقي الوطن إلى مقام الرسالة، لا مجرد موضع إقامة.

ويرى الشاعر هنا أن وطنه ليس موطناً له فقط، بل هو أيضاً نموذجًا أخلاقيًا يستحق التضحية والفداء، وهو يحاكي الفكرة الأفلاطونية عن «المدينة الفاضلة» التي تتجاوز الحدود الجغرافية، وترفض المساومات على المبادئ.

ويمضي النص إلى ما هو أعمق من التعبير الشعوري اللحظي، حتى يحول العلاقة بين الشاعر ووطنه من علاقة فردية، إلى تعبئة

وجدانية جماعية كلية لا تنفصل عن إيقاع النفس « فكنت نشيداً طروب الصدى، ومازال يهتف في الخافقين بلادي»؛ إذ تعبر هذه الصورة عن انتماء يتجاوز حدود التعبير اللغوي، ليغدو سكنًا داخليًا مقيمًا في الوجدان.

ويكشف البناء التعبيري للنص عن وعي عميق بالانتماء، إذ ينظر الشاعر إلى الوطن بوصفه مكونًا جوهريًا من الهوية الذاتية والجماعية، ويعزز التكرار الموسيقي في عبارة «الخافقين» حضور الوطن في صورة وجدانية، حيث يظل النشيد يهتف بالحب للوطن عبر الزمن.

وفي سياق آخر يصل «زمخشري» إلى أقصى درجات التوتر الوجداني والانفعال الوطني، فيقول فيها (زمخشري، 1961، ص. 475):

فِي دَمِي ثَـــوْرَةُ الْحَنِينِ لَهِيـــبًا
لَيْسَ يُطْفِيـــهِ مِنْ عُيُـــونِي غَمِيرُ
وَبِنَفْسِي لَوَافِحٌ مِنْ جَوَى الشُّجُوِ
عَلَى خَافِقِي لَظَاهَـــا يثُـــورُ
كُلَّمَا نَاحَ طَـــائِرٌ فَـــوْقَ أَيْكٍ
كَانَ لِي مِنْ ثَوَاحِـــــه تَذْكِيرُ
فَتَرَامَـــتْ خَوَافِقِي أُغْنِيـــاتٍ
مِـــنْ فُؤَادٍ بِرَجْعِهَـــا مَحْمُـــورُ
لِحِمَى الْبَيْتِ عَنْ أَكَرَمَ وَادٍ غَيْرِ
ذِي الزَّرْعِ وَهُـــوَ رَوْضٌ نَضِيرُ
لِلْمَقَدَاسَاتِ فِي ذُرَى مَهْبِطِ الْفُرْقَانِ
لِلْخَيْرِ وَهُـــوَ فَيْـــضٌ وَفِيرُ

تتجلى في هذه الأبيات صور الانتماء والولاء من خلال بنية شعورية مفعمة بالتوتر العاطفي والانشداد الوجودي إلى الوطن، والشاعر هنا لا يستدعي الوطن بوصفه موضوعًا منفصلًا، بل هو امتداد عضوي للذات، يتماهى مع مشاعر الحنين.

يتبدى البعد الوجودي للانتماء والولاء بجلاء في عدد من المواضع النصية، ويمكن رصدها في عدة صور، على النحو الآتي:

4/1: في دَمِي ثَوْرَةُ الْحَنِينِ لَهِيبًا

يتمدد الحنين ليتحول إلى طاقة انفجارية داخلية، تندفع من عمق التجربة الوجدانية نحو تجسيد الوطن في صورة كيانية تعيش مع الشاعر، واختياره لفظة «ثورة» يخرج الحنين من الشعور العادي إلى طاقة تصويرية عالية تضح الحنين مقام الفعل الدينامي المتحرك؛ مما يؤسس لانتماء عميق لا يقوم على الذاكرة، بل ينغرس في بنيان الجسد والنفس معًا.

إن الشاعر حين يربط الدم والثورة والحنين، يعلن عن التماهي العميق بين الوطن وكيان الذات، ويعبر عن وطن حاضر في الشعور الحيوي المستمر، يتجدد مع كل انفعال داخلي، ويعمق انخراط الذات الشعورية في ذاكرة الأرض والهوية.

4/2: وبنفسي لوافح من جوى الشجو على خافقي لظاها يثور

يتصاعد التوتر الداخلي في هذا المقطع، حيث يفتح الشاعر مساحة شعورية مشحونة تنبض بالأسى والاشتياق، واختيار الشاعر للفظة «وبنفسي» يوحي بإيقاع داخلي متقطع يكشف عن حالة اختناق وجداني يشي بانفجار.

يظهر الحنين هنا بوصفه طاقة محورية تعيد تشكيل المشاعر حول محور واحد هو الوطن، وتصبح معاناة البعد جزءًا من البنية الوجدانية للشاعر، والاغتراب عن الوطن نوعًا من التمزق الداخلي، والانتماء إليه اشتعالاً دائمًا لا ينطفئ.

4/3: كلما ناح طائر فوق أيك كان لي من نواحيه تذكير

ويعمد زمخشري إلى استحضار الصوت الطبيعي مرآة لصوته الداخلي، ونواح الطائر يصبح رمزاً للتذكير الدائم بالوطن، ويتداخل الصوت الخارجي «نوح الطائر» مع صدى الداخل؛ ليخلق علاقة إدراكية عميقة بين الانتماء والطبيعة، ويؤكد أن الوطن بالنسبة إليه لا ينفصل حتى عن أصغر تفاصيل الكون من حوله.

4/4: لحمى البيت عن أكرم وادٍ غير ذي الزرع وهو روض نضير

تتجه الأبيات في ختامها إلى تثبيت صورة الوطن بوصفه منظومة متكاملة، يمتزج فيها البعد الروحي بالمشهد المكاني، ويقدم الشاعر صورة مميزة للوطن بوصفه «روض نضير» رغم كونه «غير ذي زرع»، وهي إشارة إلى تقديس الشاعر لوطنه، الذي يرى فيه جمالاً وقيمة روحية عميقة رغم ما قد يبدو من قسوة الجغرافيا، ويؤكد أن الانتماء للوطن ليس فقط بسبب جماله الطبيعي، بل بسبب قداسته وقيمته الروحية والتاريخية.

وفي قصيدة أخرى تضج بالشوق العارم والحنين الجارف للوطن يقول فيها: (زمخشري، 1961، ص. 473)

مَوْطِنِي لَا تَزَالُ تُلْهِمُ قِيثَارَي، فَيَنْسَابُ بِالْفُؤَادِ نَشِيـــدًا
يَتَهَادَى بِهِ الْحَنِينُ فَيَجْرِي بِاشْتِيَاقِي عَلَى الْمَآقِي عُقُودًا
وَالْقَدَاسَاتُ فِي مَرَابِعِكَ الْبِيضِ حَسَانٌ بِهَا أَهِيمُ عَمِيـــدًا

القيثارة هنا هي رمز للشاعر نفسه؛ إذ تنساب مشاعره عبرها على شكل نشيد ينبع من الفؤاد، مما يشير إلى أن ارتباطه بالوطن ليس مجرد فكرة عابرة، بل هو جزء أساسي من وجدانه، وهذا الانسياب العاطفي يعكس حميمية العلاقة بين الشاعر ووطنه، فالوطن ليس مجرد مساحة مادية تحددها الخرائط والحدود، بل هو مصدر لا ينضب من الأحاسيس التي تصور مشاعر الفداء

والانتماء، ويمكن أن نقف أمام صورتين في المقطوعة السابقة:

2/1 يَتَهَادَى بِهِ الْحَنِينُ فَيَجْرِي بِاشْتِيَاقِي عَلَى الْمَآقِي عُقُودًا

اختيار الشاعر للفظة «يتهادى» ثم « الجريان» يرسم إيقاعًا داخليًا تصاعديًا يعبر عن تدفق العاطفة بشكل متسارع؛ وهذه الصورة العاطفية ترمز إلى قوة الانتماء، حيث إن الحنين للوطن لا يتوقف ولا يهدأ، بل يتكرر ويتجدد مثل العقود التي تلتف حول المشاعر.

يتجسد الشوق هنا في صورة بصرية محسوسة، تجعل الشوق إلى الوطن طاقة لا تهدأ لا تعرف السكون، وتعيد إنتاج ذاتها في كل لحظة بصورة أكثر امتلاءً واشتدادًا.

2/2 والقداسات في مرابعك البيض حسان بها أهيم عميداً

ينهض هذا المقطع بتصويرٍ دقيق لصلابة الانتماء عند «زمخشري» حيث تندمج مشاعر الطاهرة بالمكان اندماجًا يجعل من البياض رمزًا مكثفًا لنقاء الارتباط بالأرض.

واستخدامه لكلمة «أهيم» يكشف عن انجراف وجداني ينبع من حرارة الإحساس الداخلي دون حاجة إلى تنظيم عقلي أو تدرج منطقي.

ثانياً: الطبيعة والتأمل

تتبدى في شعر «زمخشري» ملامح ارتباط حميمي بالطبيعة حيث تتسع رمزية الطبيعة لديه لتشمل الرياض النظرة، الأزهار المتفتحة، وأمواج البحر، ونسمات الربيع؛ فتغدو هذه العناصر معادلاً تصويريًا لخلجات النفس وانفعالاتها.

ويلاحظ أن الشاعر لا يتعامل مع الطبيعة بوصفها إطارًا جماليًا، شأنه شأن سائر الشعراء الرومانسيين الذين وحدوا بين الشعور والمحيط الطبيعي بوصفه مرآة للذات وامتدادًا لصوتها الداخلي.

ووجد «زمخشري» في الرياض الأنيس الذي يؤنس وحدته؛ فوقف أمامها متأملاً ومصورًا ومنصهرًا معها، ورسم لها لوحات أخاذة، ومن ذلك قول (زمخشري، 1982، ص. 144):

وَقَدْ كَانَ لِي فِي مُرَبَّعِ الْحُسْنِ رَوْضَةٌ

لِأَغْرَاسِهَـــا زَاكِي الدِّمَـــاءِ رَوَاءُ

تَلْهَى بِهَا كَفُّ الزَّمَـانِ فَأَجْدَبَتْ

وَلِلزَّهْـــرِ فِيهَا لَا يَزَالُ شَـــــذَاءُ

وَجِئْتُ لِأَرْوِي تُرْبَهَـــــا بِمَدَامِعِي

لِتَرْجِـــعَ، وَهِيَ «الرَّوْضَةُ الْغَنَّاءُ».

فَجَفَّفْ دَمْعِي مَا لَقِيتُ مِنَ الْأَسَى

وَعُدْتُ وَعَيْنِي بِالْقَذَى عَشْـــوَاءُ

تُظهر الأبيات السابقة تعبيرًا عميقًا عن علاقة الشاعر بالطبيعة وعشقه لها، وارتبط «زمخشري» بشكل وثيق بوطنه وبمشاعره الشخصية، وتأملاته في الرياض، الورود، والأزهار، مما يعكس حبه للطبيعة واعتباره إياها مصدر إلهام وسلوى.

وعبّر الشاعر عن رغبته في استعادة جمال هذا المكان من خلال دموعه، وكأنه يعتقد أن مشاعره الحزينة يمكن أن تعيد الحياة إلى هذه «الروضة الغناء»، أي المكان المليء بالسرور والجمال، وأنهى مقطوعته السابقة بتعبيره عن محاولته لتجفيف دموعه بعد ما عانى من الألم، ولكنه يعود ليجد أن عينيه ما زالت مغطاة بالقذى (الأتربة)، مما يشير إلى استمرار معاناته وعدم قدرته على رؤية جمال الطبيعة كما كان سابقًا.

تنهض الأبيات السابقة على وعي جمالي عميق بالطبيعة، باعتبارها نسيجًا تتخلله الذات، ومن هذا المنطلق يتعامل «زمخشري» مع الطبيعة على أنها قيمة إدراكية تسكن أعماق الشعور الشعري. ويمكن تتبع هذا التجلي من خلال مستويين متماسكين في البناء النصي:

أولاً: الطبيعة في شعره ليست مجرد خلفية ساكنة، بل تتقدم إلى الواجهة بوصفها ذاتًا حاضرة تتفاعل مع الإنسان وتستجيب لوجدانه، وهذا الحضور ينبع من طبقات أعمق تتصل بالحميمية المتجذرة في تفاصيل البيئة، حيث تتحول الأماكن الطبيعية إلى بؤرة شعورية مكثفة.

ثانياً: إن تأملات الشاعر في الطبيعة لا تخلو من حزن شفيف على ما يعتريها من تغيرات وتحولات، وكأن اضطراب ملامح الطبيعة الخارجية يعكس في ذاته اضطرابًا في صورة الوطن، وهذا الحزن لا يأتي بصيغة نواح مباشر، بل يتسلل إلى النص عبر حساسية عالية للزمان والمكان، حيث تصبح البيئة بما أصابها من تبدد وذبول، مرآة لفقدٍ أعمق يخص الهوية والذاكرة.

تنبض نصوص «طاهر زمخشري» الوطنية بحيوية شعورية تكشف فيها رمزية الانتهاء، عبر استخدام كثيف للتشبيهات والاستعارات، مما يضفي على تجربته الشعرية مسحة وجدانية مشحونة بالعاطفة التي تجعل الطبيعة والأمكنة امتدادًا حيًا للذات المتشوقة إلى وطنها.

ثالثاً: الحنين والشوق

تشكل الغربة دائماً منعطفًا مهمًا في حياة الشعراء، حيث تكسب تجاربهم المعاناة التي عاشوها واكتووا بلظاها؛ وعاش «طاهر زمخشري» مغترباً عدة سنوات عن وطنه وأهله وأحبته، وكان من الطبيعي أن تترك الغربة أثراً حزينًا على هذا الشاعر الرومانسي؛ فعبر في أكثر من قصيدة عن معاناته وشوقه لوطنه وأهله وأحبته، ومن ذلك قول (زمخشري، 1982، ص.41):

رَبْوَةَ الْأَمْسِيَاتِ وَالذِّكْرَيَاتِ

غُرْبَتِي عَنْكِ عَطَّلَتْ أَدَوَاتِي

فَعَبَرْتُ الْأَيَّامَ بِاللَّوْعَةِ الْخَرْسَاءِ

أَمْشِي مُكَبَّلَ الْخُطُـــــواتِ

وَالْنَّبَارِيحُ فِي الْحَنَايَا جِرَاحَاتٍ

وَأَطْرَافُهَـــــا عَلَى نَظَرَاتِي

تظهر في الأبيات رموز مثل «اللوعة الخرساء» و»صغير الهموم» التي تعكس حالة من الانكسار والضعف، واستخدامه لعبارة «شربت القذى» يشير إلى استعداده لتحمل المعاناة والصعوبات التي تواجهه دون أن يتذمر، مما يعكس قوة إرادته وعزيمته، وتمثل تداخلًا عميقًا بين الحزن والحنين، حيث يتنقل الشاعر بين الأمل والواقع، مما يعكس مرونة شعوره وقدرته على استحضار ذكرياته الجميلة في مواجهة الآلام التي يعيشها. وفي ذات القصيدة يقول (زمخشري، 1982، ص. 40):

وَرَجَعْتُ الْغَدَاةَ أَنْشُـــرُ آمالي

مَلِيءُ الْوَفَـــــاضِ بِالرَّغَبَاتِ

وَبَمِينُ الزَّمَانِ تَنْسُجُ مِنْ حَوْلِي

وَشَـــــاحًا يَلْفُنِي فِي سُبَاتِ

وَصَغِيرُ الْهُمُومِ يَمْلَأُ سَمْعَ اللَّيْلِ

دُعْرًا يَصَـــــجُّ فِي الظُّلُمَاتِ

كُنتُ فِي لُجِّها أَهِيمُ بِأَفْرَاحِي

فَهَـــلْ تَحْفَظِينَ لِي ذِكْرَيَاتِي؟!

يفصح الشاعر في نصوصه الوطنية عن مشاعر الحنين والشجن تجاه الأماكن التي كانت يومًا مصدر سعادته وملاذه الروحي، مستدعياً ذكرياته البعيدة، مما يبرز ارتباطه العاطفي بالمكان، ويظهر وطنيته في تأثره العميق بالتحولات التي طرأت على بيئته، مكونة شبكة شعورية معقدة تربط بين الذات والمكان عبر الزمن.

يؤكد الحنين والشوق إلى الماضي في شعر «طاهر زمخشري» مدى تعلقه بموطنه وذكرياته، مما يجعلها تعبيرًا عن وطنيته العميقة، والشاعر يحن إلى أمسياته في وطنه ويشكو من الغربة التي حالت بينه وبين طموحاته.

وتحتشد آماله في قصائده حتى تفيض بالصور والمعاني الرومانسية مثل: «اللوعة الخرساء، صغير الهموم، المشاهد الكالحات، سمع الليل»، وهذه المعاني تذيب الفواصل بين الذات والمكان، وكأن الذكريات قد غدت جزءًا من نسيجه الشعوري، يوقظها الحنين في كل التفاتة نحو الزمن البعيد. وفي قصيدة «صميم الحياة» يصور ما يعانيه من ألم الغربة فيقول (زمخشري، 1982، ص.21):

وَتَغَرَّبْتُ فِي الْحَنَايَا جَحِيمٌ

يَتَلَهَّى بِأَعْظُمِي النَّخِرَاتِ

وَشَرِبْتُ الْقَذَى وَمَا ضِقْتُ ذَرْعًا

بِالذي قَدْ لَقِيتُهُ مِنْ شَتَـــاتِ

وَأَنَا لَا أَزَالُ أَحْمِـــــلُ آلامِي

وَيَخْتَثُّ مِنْ خُطَـــــايَ ثَبَاتِي

وَسَأَلْقَى مَتَى سَحَرْتُ بِأَوْهَامِي

أَمَانِيَّ فِي صَمِيمِ الْحَيَـــــاةِ

أبرز «زمخشري» في هذه الأبيات تجربة إنسانية عميقة تتجلى في شعوره بالحنين والاغتراب، وظهر بشكل واضح في اختياراته اللغوية وصورته الشعرية، حيث بدأ الشاعر بالإشارة إلى الغربة التي تعكس شعوره بالعزلة، ثم أشار إلى «جحيم» الحنايا التي تشعره بالضياع والضعف، وأظهر هنا مدى تأثير الزمن والمكان في تجربته الشخصية، حيث يتحول ما كان مصدر سعادته وفرحه إلى ألم ومعاناة.

وتتجلى الوطنية في شعره من خلال ارتباطه العميق بالمكان، إذ لا يقتصر حنينه على الأمكنة ذاتها، وإنما يمتد إلى الذكريات التي نسجت جزءًا من هويته الإنسانية.

ويظهر الشوق والحنين في نصوصه الشعرية بشكل واضح من خلال تكرار معاني «الأمل والرجاء»، حيث يتحدث عن آماله وما يعانيه من الغربة والحنين إلى الماضي، وهو ما أضفى على شعره طابعًا إنسانيًا عميق التأثير.

المبحث الثاني: الدراسة الفنية

تعد دراسة الملامح الفنية لشعر الوطن عند الشاعر «طاهر زمخشري» ضرورة بحثية لفهم الطريقة التي صاغ بها تجربته الشعورية، وأطر من خلالها مشاعره تجاه الوطن في قوالب جمالية وفنية عاكسة عمق رؤيته.

ومن هنا تقتضي الدراسة الوقوف على الخصائص الفنية البارزة في نصوصه، استكشافًا لآليات التشكيل التعبيري التي سكنت لغته وأسلوبه وموسيقاه.

أولاً: اللغة والأسلوب

تعد اللغة والأسلوب من المرتكزات الجوهرية التي يتكئ عليها الشاعر في تشكيل رؤيته الفنية والتعبير عن مضامينه الشعورية والفكرية.

ستناول في هذا المحور جانبي اللغة والأسلوب من خلال تحليل البنية اللفظية والجمالية التعبيرية في شعره:

أ–اللغة

سنقف على مجموعتين من الألفاظ التي تعكس ملامح اللغة الشعرية، وتسهم في إعطاء النصوص الوطنية روحها الخاصة، من حيث التأثير على مشاعر القراء وإبراز انتماء الشاعر لوطنه أو فكره.

1. ألفاظ الحنين:

يعد موضوع الحنين إلى الوطن هو أحد أكثر المواضيع الشائعة في الشعر العربي؛ حيث يبرز هذا الشعور العميق بالتعلق بالأرض والوطن خاصة عندما يكون الشاعر بعيدًا عنها، وتتجلى لغة الحنين من خلال استخدام الشاعر لمجموعة من الألفاظ التي تحمل دلالات شعورية قوية، وتعكس مدى معاناة الشاعر وشوقه لعودة الوطن، تلك الألفاظ لا تنقل فقط صورة شعورية، بل تسهم في تشكيل هويّة النص الشعري وتعبر عن مشاعر الشاعر الوطنية والانتماء العميق.

وبرز الحنين للوطن من خلال مجموعة من الألفاظ التي تعبر عن الألم والفراق وتبرز الصور الشعورية القوية، ولا شك «أن كل علاقة بين كلمتين أو أكثر مشتركتي الحضور يمكن أن تصبح صورة « (تودوروف، 1990، ص.41)، ومن ذلك قول (زمخشري، 1982، ص.21):

وَتَغَرَّبْتُ فِي الْحَنَـــايَا جَحِيـمٌ

يَتَلَهَّى بِأَعْظُمِي النَّخِـــرَاتِ

وَشَرِبْتُ الْقَذَى وَمَا ضِقْتُ ذَرْعًا

بِالذي قَدْ لَقِيتُـــهُ مِنْ شَتَاتِ

استخدم الشاعر لفظة «وتغربت في الحنايا جحيم» للدلالة على الشعور بالبعد والفقد، ويعبر عن غربته بأنها «جحيم»، مما يضفي على أن البعد عن الوطن طابع معاناة لا تطاق.

وقوله «يتلهى بأعظمي النخرات» تشبيه المعاناة بأنها تنخر في عظامه يعكس حجم الألم الداخلي الذي يعانيه الشاعر نتيجة الفراق، وهذا التشبيه يظهر مدى التأثر الجسدي والنفسي. وقول (زمخشري، 1982، ص.40)

وَرَجَعْتُ الْغَدَاةَ أَنْشُرُ آمالي

مَلِيءُ الْوَفَاضِ بِالرَّغَبَـــاتِ

وَبَمِينُ الزَّمَانِ تَنْسُجُ مِنْ حَوْلِي

وَشَاحًا يَلْفُنِي فِي سُبَـــاتِ

ويتجلى في جملة «ورجعت الغداة أنشر آمالي» الحنين الذي يشير إلى العودة المتوقعة، لكن هذه العودة ليست جسدية فقط، بل روحية ونفسية حيث إن الشاعر يحمل معه الآمال والرغبات التي لم تتحقق بعد.

تعكس الصور التي يقدمها الشاعر في الأبيات السابقة ألم الفراق والبعد عن الوطن، وتظهر كيفية ارتباطه العميق بالأماكن التي عاش فيها وبالذكريات التي تملأ حياته.

والألفاظ المستخدمة في قصائده مثل «اللوعة الخرساء» «مكبل الخطوات»، و»تباريح الحنايا جراحات» تضيف إلى المشاهد الشعرية شعورًا بالقيد والعجز عن العودة إلى تلك اللحظات أو الأماكن.

تتكشف تجليات الحنين في قصائد «زمخشري» عبر انتقاء مفردات مشحونة بالألم والشوق واللوعة، بما يخلق صورة وجدانية عميق تنبض بالانتماء للوطن، وتعكس مرارة الاغتراب.

2. ألفاظ الطبيعة:

برزت الألفاظ المرتبطة بالطبيعة في عدد كبير من قصائد «طاهر زمخشري» بوصفها مرآةً صادقة لذاته الداخلية، ومسرحًا يجسد أحلامه وأحزانه، ووسيلة للتعبير عن مشاعره العميقة وتقلباته النفسية، ومن ذلك قول (زمخشري، 1982، ص. 144):

وَقَدْ كَانَ لِي فِي مُرَبَّعِ الْحُسْنِ رَوْضَةٌ

لِأَغْرَاسِهَا زَاكِي الدِّمَـــاءِ رَوَاءُ

تَلْهَى بِهَا كَفُّ الزَّمَانِ فَأَجْدَبَتْ

وَلِلزَّهْرِ فِيهَـــا لَا يَزَالُ شَـــذَاءُ

وَجِئْتُ لِأَرْوِي تُرْبَهَـــا بِمَدَامِعِي

لِتَرْجِعَ، وَهِيَ «الرَّوْضَةُ الْغَنَّاءُ».

تجسد الأبيات نزوع «زمخشري» إلى استدعاء عناصر الطبيعة، وتتداخل مفرداتها مع نسيجه الشعري؛ لتغدو أداة تعبيرية عن انفعالاته وأشواقه العميقة.

وفي المقطوعة السابقة نجد أن الشاعر يوظف ألفاظًا ترتبط بالطبيعة مثل «روضة»، «أغراس»، «الزهر»، و»الدماء»، ليصور لنا عالمًا من الجمال الطبيعي الذي تعرض للخراب، ويرمز من خلاله إلى فقدان أو تدهور شيء عزيز، ربما يكون ذلك رمزًا لوطنه أو لأحلامه التي لم تتحقق.

ودلالة لفظ «الزهر» و»شذاء» تعزز شعور الاستمرارية والذكريات الجميلة، حتى وإن كانت الروضة قد أجدبت، فإن «للزهر فيها لا يزال شذاء»، مما يشير إلى أن بقايا العطر والشذى ما زالت عالقة في ذهن الشاعر، وكأن الذكريات لا تزال تحمل عطر الماضي. وعندما يقول «وجئت لأروي تربتها بمدامعي»، يرمز إلى محاولته استعادة هذا الجمال المفقود وإعادة إحياء تلك الروضة بدموعه، التي تعد أعمق أشكال الحزن والحنين.

وظهرت ألفاظ الطبيعة في القصيدة بوصفها وسيلة أساسية للتعبير عن الانتماء والحنين والخيبة، حيث تمثل «الروضة الغناء» رمزية لرغبة الشاعر في استعادة الماضي الجميل، وإحياء ما فقده بفعل الزمن، وهو بمثابة استدعاء لذاته الضائعة في دوامة الواقع.

ب– الأسلوب:

ارتبط مصطلح «الأسلوب» بمعنى الطريق أو المذهب الذي يسلكه الشاعر في التعبير عن معانيه، وأشار (ابن منظور،1999،

ج15، ص.473)، إلى أنه يمكن أن نفهم الأسلوب على أنه «الطريق الممتد»، مما يشير إلى استمرارية الأسلوب الخاص بالشاعر في معظم أعماله، حيث تظهر خصوصيته اللغوية والفنية من خلال هذا الامتداد.

وتتنوع في قصائد «زمخشري» الأساليب التعبيرية بين الأساليب الإنشائية والاساليب الخبرية؛ وتأتي هذه الأساليب المتنوعة لتعكس عواطف الشاعر وحنينه للوطن، وتبرز انفعالاته الداخلية تجاه الأماكن والذكريات، يقول (زمخشري، 1982، ص. 40):

وَيَمِينُ الزَّمَانِ تَنْسِجُ مِنْ حَوْلِي وِشَاحًا يَلُفُّنِي فِي سُبَاتِ

وَصَغِيرُ الْهُمُومِ يَمْلَأُ سَمْعَ اللَّيْلِ ذُعْرًا يَضِجُ فِي الظُّلُمَاتِ

كُنْتُ فِي لُجِّهَا أَهِيمُ بِأَفْرَاحِي فَهَلْ تَحْفَظِينَ لِي ذِكْرَيَاتِي؟

في قصيدته «موطني»، نجد استخدامًا للأساليب الإنشائية التي تعكس مشاعر الحنين والشوق والتساؤل؛ على سبيل المثال:

- قوله «فهل تحفظين لي ذكرياتي؟» هو أسلوب إنشائي استفهامي، يعبّر فيه عن تساؤل مشوب بالقلق والشوق إلى الوطن، وهو تساؤل بلاغي غير منتظر للإجابة، بل يعبر عن انفعالات الشاعر الداخلية.
- تظهر الأساليب الإنشائية هنا لتعزيز الجانب العاطفي، حيث تُستخدم الاستفهامات لتعميق المشاعر الموجهة نحو الوطن ولتعكس الحيرة والتساؤل حول ما إذا كانت تلك الذكريات ستظل باقية في ذاكرة الوطن كما هي في مخيلة الشاعر.

أما فيما يتعلق بالأساليب الخبرية، فتظهر في القصيدة بشكل أكبر، حيث يعبر الشاعر عن حقائق ومشاهداته وتجربته الشخصية. على سبيل المثال:

- قوله «ويمين الزمان تنسج من حولي وشاحاً يلفني في سبات» هو تعبير خبري يعكس وصفًا للوضع الذي يعيشه الشاعر، ويعبر عن إحساسه بالعجز أو الشلل نتيجة لثقل الأيام والهموم.
- كذلك، قوله «وصغير الهموم يملأ سمع الليل ذعراً يضج في الظلمات» هو تصريح خبري يصف معاناته مع الهموم التي تحيط به وتثقل كاهله.

ونجد أن الأساليب الخبرية في ديوان طاهر زمخشري، تتفوق على الإنشائية، ويعود ذلك إلى ميل الشاعر إلى التعبير عن تجربته ومعاناته بصورة مباشرة، حيث يستخدم الأساليب الخبرية لوصف الواقع الذي يعيشه والتأثيرات التي يخضع لها، وتستخدم الأساليب الخبرية عادة لتمرير حقائق وتجارب الشاعر، مع استحضار الذكريات وتأكيد مشاعر الحنين والاغتراب.

وتعكس كثرة الأساليب الخبرية في ديوان طاهر زمخشري مقارنة بالأساليب الإنشائية رغبة الشاعر في توثيق حالته النفسية والتعبير عن واقع حياته بصورة أكثر موضوعية ووضوحًا، حيث إن الأساليب الإنشائية بين الحين والآخر لإبراز المشاعر العميقة والمباشرة، خاصة في مواضع الحنين والتساؤل.

ثانياً: التشبيه وأثره في إبراز الصورة الشعرية

يعد التشبيه من أهم الوسائل البلاغية التي يوظفها الشاعر لتكثيف المعنى وتوسيع أفق الصورة الشعرية، وذلك لما يمتلكه من قدرة على نقل المعاني المجردة إلى صورة محسوسة تسهم في نقل الفكر والعاطفة عبر صورة مركبة تحدث أثرًا في الملتقي.

ويرى قاسم (2003) التعريف الجامع للتشبيه هو: صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسية أو مجردة) أو أكثر، وقد عرفه القزويني بقوله: التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى. وهذا يعني أن المتشابهين ليسا متطابقين في كل شيء. ومن ذلك قول الشاعر (زمخشري، 1982، ص.40):

فَعَبَرْتُ الْأَيَّامَ بِاللَّوْعَةِ الْخَرْسَاءِ

أَمْشِي مُكَبَّـــــلَ الْخُطُواتِ

شبه «زمخشري» مشاعره بالأيام التي تمر وهي محملة باللوعة الخرساء، مما يعكس مدى الألم والصمت الذي يعاني منه؛ والتشبيه هنا يبرز قوة المعاناة التي يمر بها الشاعر ويجعل القارئ يشعر بالثقل الذي يرافق كل خطوة يخطوها. وقول (زمخشري، 1982، ص.40):

لَمْ يَعُدْ سُجْفُهَا يَزُودُ أَفْكَارِي

بِغَيْرِ الْمَشَاهِـــــدِ الْكَالِحَاتِ

واستخدم الشاعر الاستعارة بجانب التشبيه في أكثر من موضع؛ ليصف الأفكار التي تخطر بباله بأنها مشاهد كالحات، مما يعكس الكآبة والسوداوية التي تطغى على تفكيره، ويعزز هذا التشبيه تأثير الصورة الشعرية ويجعل القارئ يتخيل حالته الذهنية. وفي ذات السياق يقول (زمخشري، 1982، ص.21):

وَشَرِبْتُ الْقَذَى وَمَا ضِقْتُ ذَرْعًا

بِالَّذِي قَدْ لَقِيتُـــــهُ مِنْ شَتَاتِ

وربط الشاعر معاناته بشرب القذى، مما يعكس مدى التحمل والصبر الذي يواجه به مصاعب الحياة، ويبرز هذا الارتباط قدرة الشاعر على مواجهة الصعوبات والصمود أمامها، مما يعزز من قوة الشخصية الشعرية، وتؤدي الصورة التشبيهية وظيفة بنائية؛ فهي تمثل وسيلة الشاعر في التعبير عن أحاسيسه المكثفة، وتعزز من قدرته على تحويل الألم إلى صورة فنية نابضة بالحياة.

وقد مثّل التشبيه في شعر «زمخشري» ملمحًا أسلوبيًا بارزًا أسهم بفاعلية في تشكيل البنية الشعورية في قصائده، وتولدت الصور

التشبيهية لديه من تماس مباشر مع التجربة الحسية والوجدانية.

ويمكن القول إن التشبيه ينهض بدور أساسي في إبراز الصورة الشعرية في قصائد «طاهر زمخشري»، وشكل أحد ركائز التشكيل الفني في قصائده، واندمج في نسيج تجربته، وأضفى على نصوصه أبعادًا دلالية تجاوزت المعاني المباشرة.

ثالثاً: الموسيقا والإيقاع

يعد الاعتناء بالجانب الموسيقا من أهم العوامل التي حافظ عليها الشعراء وأولوها عنايتهم في نظم القصيدة العربية منذ العصور السابقة حيث «كانت صياغة الشعر العربي منذ القدم في كلام ذي توقيع موسيقي، ووحدة في النظم تشد من أزر المعنى، وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه ومنشديه، وتوحي بما لا يستطيع القول إن يشرحه» (هلال، 1977، ص.435).

أما من حيث الجانب الموسيقي في الشعر الوطني، فقد تعددت الأوزان، وتنوعت البحور» وقد حظي الشعر الوطني الحديث في مملكتنا بالتنوع النغمي من حيث البحور؛ فنقرأ للشعر البسيط والوافر والطويل والكامل، وهذا يدل على معرفتهم بموسيقى الأوزان العربية وتمكنهم منها» (الجعيد، 2001، ص. 30).

واعتنى «طاهر زمخشري» في قصائده الوطنية بعنصري الموسيقى والإيقاع بشكل كبير؛ لإيمانه الشديد بأن هذين العنصرين لهما دور كبير في إيصال مشاعره.

1. الموسيقا الخارجية:

إن أول ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن الموسيقا الداخلية في النص الشعري هما عنصرا « الوزن» و «القافية» لكونهما عنصرين أصليين في بناء القصيدة الشعرية:

أ–الوزن:

لا شك أن الوزن هو عنصر أصيل في صناعة الشعر، وبالنظر إلى الشاعر» طاهر زمخشري « فقد حرص على انتقاء الأوزان الشعرية بعناية، ونجد أنه استخدم البحر الكامل في عدد من قصائده، وهو بحر شعري يمتاز بوزنه القوي والموسيقي العالي، ويتكون البحر الكامل من التفعيلة الأساسية «متفاعلن»، التي تتكرر ست مرات في كل بيت (أي ثلاثة في كل شطر). ومن ذلك قوله (زمخشري، 1961، ص.475):

فِي دَمِي ثَـــــوْرَةُ الْحَنِينِ لَهِيبًا

لَيْسَ يُطْفِيـــــهِ مِنْ عُيُونِي نَمِيرُ

وَبِنَفْسِي لَوَافِحٌ مِنْ جَوَى الشُّجُوِ

عَلَى خَافِقِي لَظَاهَا يَثُـــــورُ

كُلَّمَا نَاحَ طَائِـــرٌ فَوْقَ أَيْكٍ

كَانَ لِي مِنْ ثَوَاحِـــهِ تَذْكِيرُ

تقطيع الشطر الأول عروضياً:

فِي دَمِي ثَـــــوْرَةُ الْحَنِينِ لَهِيبًا

لَيْسَ يُطْفِيـــــهِ مِنْ عُيُونِي نَمِيرُ

- «في دمي ثورة الحنين» = متفاعلن متفاعلن متفاعلن
- «لهيباً ليس يطفيه» = متفاعلن متفاعلن متفاعلن
- «من عيوني نمير» = متفاعلن متفاعلن (النهاية ناقصة لأنها تأتي بنظام القافية)

التقطيع العروضي للشطر الأول من البيت هو:

«في دمي ثورة الحنين لهيباً»

/ ٥ / ٥ // ٥ / ٥ // ٥ / ٥

يمكن ملاحظة التفعيلة «متفاعلن» بشكل واضح في جميع أجزاء البيت، واختيار الشاعر للبحر الكامل يتناسب مع مشاعر الحنين الفياضة التي يعبر عنها الشاعر؛ فالثورة الداخلية التي يشعر بها الشاعر تجاه الوطن تحتاج إلى وزن شعري يمتاز بالقوة والثبات، وهو ما يحققه البحر الكامل بفضل تكرار التفعيلة المكونة من أسباب وأوتاد قوية.

يتيح البحر الكامل للشاعر توظيف اللغة بقوة وعمق للتعبير عن انفعالاته العاطفية، خاصة في سياقات الحنين للوطن والاشتياق له، كما أن هذا البحر يتميز بالمرونة، مما يسمح للشاعر بالتنقل بين الأساليب الخبرية والإنشائية بسهولة، فيمنحه حرية أكبر في التعبير عن معاناته وشوقه للوطن.

ويتجلى استخدام البحر الكامل في قصائد زمخشري بوصفه وسيلة للتعبير عن مشاعر الحنين القوية، ولغة الإيقاع في البحر الكامل تساعد على تجسيد هذه المشاعر الحية بشكل يعكس التوتر والاشتياق الذي يعيشه الشاعر تجاه وطنه. قوله (زمخشري، 1982، ص. 40):

رَبْوَةُ الْأَمْسِيَـــاتِ وَالذِّكْرَيَاتِ

غُرْبَتِي عَنْـــكِ عَطَّلَتْ أَدَوَاتِي

فَعَبَرْتُ الْأَيَّامَ بِالْلَّوْعَةِ الْخَرْسَاءِ

أَمْشِي مُكَبَّلَ الْخُطُـــــواتِ

وَالْتَّبَارِيحُ فِي الْحَنَـــايَا جِرَاحَاتٍ

وَأَطْرَافُهَـــــــا عَلَى نَظَرَاتِي

وَالْدُّجُونُ الَّتِي كُنتُ أَرْتَـــادُ

عَلَى ضَوْءِ زَهْـــرِهَا النِّيرَاتِ

وتعتمد هذه الأبيات على «البحر الكامل»، وهو بحر يتميز بإيقاعه القوي والمرن، ويستخدم غالباً للتعبير عن مشاعر

الانفعال العاطفي القوي، كما في هذه الأبيات التي تعبر عن الحنين والآلام المرتبطة بالذكريات.

«ربوة الأمسيات والذكريات»

«غُربَتي عنكِ عَطلت أدواتي»

- «ربوةَ الأمسياتِ» = متفاعلن متفاعلن متفاعلن
- «والذكريات» = متفاعلن متفاعلن
- «غربتي عنك عطلت» = متفاعلن متفاعلن متفاعلن
- «أدواتي» = متفاعلن متفاعلن

تقطيع الشطر الأول:

«ربوة الأمسيات والذكريات»

/٥ / ٥ // ٥ / ٥ // ٥ / ٥

كما في الأبيات السابقة، استخدام «البحر الكامل» هنا ليس صدفة، بل هو اختيار واعٍ يعكس مشاعر الألم والحنين العميق الذي يشعر به الشاعر، البحر الكامل بإيقاعه الثقيل والقوي يعبر بشكل جيد عن الثقل العاطفي الذي يعيشه الشاعر، فهو يعيش حالة من الضياع والاغتراب، ويعبر عن ذلك من خلال تكرار التفعيلة «متفاعلن» التي تعطي للأبيات نغمة إيقاعية تساعد في إيصال مشاعر الحزن والأسى.

ب: القافية

هناك الكثير من التعريفات التي تحدثت عن القافية، لكن أغلب علماء العروض يعرف القافية بأنها هي المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت، فأول بيت في قصيدة الشعر الملتزم يتحكم في بقية القصيدة من حيث الوزن العروضي، ومن حيث نوع القافية، فإذا فرضنا أن الشاعر أنهى مطلع قصيدته؛ أي البيت الأول منها بكلمة مثل الوطن بسكون النون، فإنه يتحتم عليه أن يختم بقية أبيات القصيدة بنون ساكنة مثل الزمن، والشجن، والوسن، والفنن إلخ (عتيق، 2000، ص. 134)

وفي مشهد شعري بالغ الدلالة يفيض بالانفعال الداخلي، يقول الشاعر (زمخشري، 1982، ص.40):

وَيَمِينُ الزَّمَانِ تَنْسِجُ مِنْ حَوْلِي وِشَاحًا يَلُفُّنِي فِي سُبَاتِ

وَصَغِيرُ الْهُمُومِ يَمْلَأُ سَمْعَ اللَّيْلِ ذُعْرًا يَضِجُّ فِي الظُّلُمَاتِ

كُنْتُ فِي لُجِّهَا أَهِيمُ بِأَفْرَاحِي فَهَلْ تَحْفَظِينَ لِي ذِكْرَيَاتِي؟!

تتبع القافية في هذه الأبيات نظاماً متسقاً؛ إذ تنتهي كل بيت بحرف واحد متكرر، وهو حرف «ت»؛ لنحلل القافية بشكل أوضح ونستخرج حرف الروي ودلالته:

القافية: (سبات، الظلمات، ذكرياتي)

حرف الروي: «ت»، وهو الحرف الذي يُنهي القافية في كل بيت، وحرف «التاء» هنا قوي من الناحية الصوتية لكنه مرن، وهو من الحروف التي تنتهي بها القوافي الشائعة في الشعر العربي الكلاسيكي، ودلالة اختيار الشاعر لحرف «التاء» كحرف روي ترتبط بتعبير الشاعر عن حالة التوتر والبحث عن الراحة أو الهدوء الداخلي؛ فالقوافي المختومة بحرف «التاء» تعطي إيقاعاً متناغماً يوحي بالتأمل، وفي الوقت نفسه، تحمل صدى يتردد بعد نهاية كل بيت، مما يعزز مشاعر الاغتراب والحيرة التي يعبر عنها الشاعر.

يتلاءم حرف الروي «التاء» مع الجو النفسي للشاعر في تلك الأبيات التي تحمل أجواءً من الحزن والحنين والشكوى، ويعكس حرف الروي هذا بشكل غير مباشر الشعور بالانكسار والانغماس في الحنين والتأمل في ذكريات الماضي.

وفي قصيدة أخرى يقول (زمخشري ، 1982، ص.144):

وَقَدْ كَانَ لِي فِي مُرَبَّــعِ الْحُسْنِ

رَوْضَةٌ، لِأَغْرَاسِهَا زَاكِي الدِّمَاءِ رُوَاءُ

تَلْهَى بِهَا كَفُّ الزَّمَانِ فَأَجْدَبَتْ

وَلِلزَّهْرِ فِيهَــــا لَا يَزَالُ شَذَاءُ

وَجِئْتُ لِأَرْوِيَ تُرْبَهَا بِمَــدَامِعِي

لِتَرْجِعَ، وَهِيَ «الرَّوْضَةُ الْغَنَّاءُ».

وبالنظر إلى هذه الأبيات جاءت القافية متسقة ومنظمة، ولها حرف روي محدد يساهم في إبراز المعاني الشعرية، ومن خلال تحليل القافية وحرف الروي ودلالته:

القافية: (رواء – شذاء– الغناء)

حرف الروي: حرف الروي في هذه الأبيات هو «ء»، وهو الحرف الذي يتكرر في نهاية كل بيت.

دلالة حرف الروي: حرف «الهمزة» هو حرف حاد ويأتي في نهاية القوافي الطويلة التي تمتد بالمد، مما يضفي على القافية جرساً موسيقياً هادئاً، ولكنه في نفس الوقت مشبع بالعاطفة والتوتر، هذا النوع من القوافي يعزز الحالة النفسية للشاعر في هذه الأبيات، حيث نجد فيها مشاعر الحنين والألم تجاه الماضي، ممزوجة بشعور بالفقد والحرمان (تلهى بها كف الزمان فأجدبت).

حرف «الهمزة » في هذه القافية يساهم في بث إحساس بالطول والتراخي، مما يتوافق مع حالة التمني والترقب التي تتجلى في رغبة الشاعر في إحياء ذكرياته المرتبطة بالطبيعة (الروضة، الأغراس، الزهر).

2. الموسيقا الداخلية:

لا شك أن الحديث عن الموسيقا الداخلية في الدراسات النقدية هو حديث متعشب، وذلك للكشف عن أثرها، ومدى

قدرتها في نقل النص الشعري إلى مرحلة أكثر نغماً وإيقاعاً، «ومهما يكن فإن تحليل الموسيقا الداخلية في الشعر لا يكشفه النحو ولا العروض، ولعل خيراً من ذلك أن نرجع إلى ما لاحظه «لامبورون» في كتابه: «أسس النقد» من أن هذه الموسيقى يشخصها جانبان مهمان، هما: اختيار الكلمات وترتيبها من جهة، ثم المشاكلة بين أصوات هذه الكلمات والمعاني التي تدل عليها من جهة أخرى، حتى تحدث هذه الصناعة الغريبة». (ضيف.د.ت. ص .80)

وفي سياق آخر ينطلق الشاعر من تجربة الاغتراب، ويصفها بأنها جحيم يسكن الجسد، فيقول (زمخشري، 1982، ص.21):

وَتَغَرَّبْتُ فِي الْحَنَايَـــا جَحِيمٌ

يَتَلَهَّى بِأَعْظُمِي النَّخِـــرَاتِ

وَشَرِبْتُ الْقَذَى وَمَا ضِقْتُ ذَرْعًا

بِالذي قَدْ لَقِيتُهُ مِنْ شَتَـاتِ

وَأَنَا لَا أَزَالُ أَحْمِـــلُ آلامِي

وَيَحْتَثُّ مِنْ خَطَايَ ثِبَـــاتِي

- الاستعارة المكنية: وتبرز في التصوير الداخلي البالغ التأثير في البيت الأول، حيث إن «الحنايا» ترمز إلى داخل الجسد، موطن القلب والوجدان، مما يجعل الاغتراب شعورًا داخليًا لا مجرد بعد مكاني.
- الطباق المعنوي: تكرار الشاعر لتعبيراته مثل «أحمل آلامي»و «يحتث ثباتي» يعزز الإيقاع الداخلي، ويبرز التوتر بين التحمل والانهيار.
- التجانس: تظهر في تعابير متوافقة مثل «جحيم» و »النخرات»
- التناص القرآني: ويتجلى ذلك في قوله « وما ضقت ذرعًا»، وذلك للدلالة على الصبر والاتساع لتحمل المحنة.
- المفارقة: الفعل في الشطر الأول من البيت الثالث « أحمل» يدل على القدرة، بينما الفعل في الشطر الثاني «يحتث» يدل على الانهيار، وهذه صورة مكثفة لذات تحاول النجاة وهي تغرق.
- صحة التقسيم: اعتمد الشاعر على تقسيم متوازن للعبارات الشعرية إلى مقاطع شبه متساوية (أربع كلمات في كل شطر)، والتقسيم المتساوي يعطي القصيدة توازناً موسيقياً.

واعتمد «زمخشري» على التكرار الصوتي سواء في الكلمات أو الجمل، مما ساعد في ترسيخ المعاني الوطنية في ذهن المتلقي وإبرازها بشكل واضح ومؤثر، كما كانت الصور الشعرية التي يصوغها غالبًا ما تتضمن عناصر من الطبيعة، مما يضفي على القصيدة جمالية موسيقية تضاف إلى الجمالية اللغوية.

ويمكننا القول إن «طاهر زمخشري» استخدم عناصر الموسيقى الداخلية والخارجية بشكل فعّال؛ لخلق جو موسيقي متناغم يعبر عن مشاعره وأفكاره بوضوح وقوة.

واستخدم الجانب الموسيقي في قصائده الوطنية بشكلٍ بارعٍ ومؤثر، مما جعل قصائده تمتاز بجرس موسيقي يجذب القارئ ويعزز من تأثير النص الشعري.

واستطاع «زمخشري» بفضل هذه التقنيات الموسيقية أن يجعل من شعره الوطني تجربة شعورية متكاملة، حيث تتفاعل الكلمات والإيقاع لتترك أثرًا عميقًا في نفوس القراء، مما يجعله واحدًا من أهم الشعراء الذين عبروا عن حبهم للوطن بطريقة موسيقية فريدة.

الخاتمة

استعرض هذا البحث تجليات الوطن في شعر «طاهر زمخشري»، متناولاً كيف عبر الشاعر عن حبه وحنينه لوطنه من خلال قصائده الوطنية التي كانت بارزة في نتاجه الشعري الذي حظي الوطن بالنصيب الأكبر منه.

وتعتبر نصوص «طاهر زمخشري» الوطنية نموذجًا راقيًا للشعر الوطني الذي يتجاوز الحدود الجغرافية، ليصل إلى عمق العاطفة الإنسانية، ومن خلال هذه النصوص اتضح أن الشاعر لم يكُن يكتب فقط عن وطنه المادي، بل كان يعبر عن وطنٍ في داخله، وطنٍ مليء بالذكريات والمشاعر التي تشكل هويته الشعرية.

وأظهرت هذه الدراسة أن الوطن كان محوراً أساسياً في أعماله، حيث تجلى في نصوصه من خلال مشاعر الحنين والألم والشوق، واستخدم الشاعر التشبيهات والصور الفنية بفعالية لتجسيد هذه المشاعر.

ويمكننا رصد عدد من النتائج التي جاءت في ثنايا هذه البحث، وهي على النحو الآتي:

أولاً: شكل الوطن محورًا جوهريًا في شعر زمخشري؛ إذ تكررت صوره ودلالاته في غالبية قصائده، مؤطرًا بحالة وجدانية صادقة عبّرت عن الحنين والانتماء، والارتباط العميق بالمكان والذاكرة.

ثانياً: استخدم زمخشري وسائل تعبيرية متنوعة، مزج فيها بين الشفافية والرمزية، وبين الإيقاع الداخلي والتكثيف الدلالي، مما منح نصوصه عمقًا وجدانيًا خاصًا، وأسلوبًا يتجاوز البنية الخطابية التقليدية إلى فضاء شعري أكثر انفتاحًا ومرونة.

ثالثاً: تجلى تأثير الوطن في شعر «طاهر زمخشري» من خلال التأثير العاطفي العميق الذي أحدثته نصوصه، حيث انعكس الحزن، والأمل، والألم، بصورة وجدانية حارة، نابعة من معايشة حقيقية للغربة والانفصال.

رابعاً: أظهرت الدراسة أن الجوانب الموسيقية في شعر «زمخشري»، بما في ذلك الوزن والقافية، لعبت دوراً مهماً في تعزيز تأثير النصوص وجعلها أكثر جاذبية وقوة.

خامساً: تأثر «زمخشري» بالبيئة الحجازية خاصة، والثقافات العربية والإسلامية المختلفة بشكل عام، مما أثرى شعره وجعل تعبيراته عن الوطن غنية ومؤثرة، وهذا التأثير الثقافي ساهم في تشكيل هويته الشعرية وجعلها تعكس تفاعلاً مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية.

التوصيات

في ضوء نتائج البحث السابقة، يوصي الباحث بعدد من التوصيات على النحو الآتي:

أولاً: إجراء دراسات نقدية تركز على تحليل الرمزية والإيقاع الداخلي في شعر «طاهر زمخشري» للكشف عن الأساليب الفنية التي استخدمها في التعبير عن الحنين والانتماء والاغتراب.

ثانيًا: إعداد دراسات مقارنة بين شعر «طاهر زمخشري» وشعراء آخرين للوقوف على الفروق والتقنيات المختلفة في التعبير عن الوطن.

ثالثًا: تضمين المناهج الدراسية نصوصاً شعرية مختارة من أعمال «طاهر زمخشري» مع توجيه الطلبة نحو دراسة أنماط التعبير الوطني، وأساليبه الفنية.

المراجع

ابن سيده، علي بن إسماعيل. (1319) المخصص (ج12). المطبعة الكبرى الأميرية.

ابن عساكر، علي بن الحسن .(1995) .تاريخ مدينة دمشق (ج70). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم .(1999) .لسان العرب (ج15، ط3). دار إحياء التراث العربي.

الترمذي، محمد بن عيسى. .(1975) سنن الترمذي (ج5، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط2). مطبعة مصطفى الحلبي.

تودوروف، تزفيتان. (1990). الشعرية، تر. المبخوت، شكري، ورجاء بن سلامة، ط (2) دار توبقال للنشر.

الجبر، خالد. .(2003) الصمة القشيري: حياته وشعره. دار المناهج.

الجعيد، عطا الله. (2001). الوطن في الشعر السعودي المعاصر، [رسالة ماجستير غير منشورة]، السعودية: جامعة أم القرى.

زمخشري، طاهر. .(1984) أغاريد الصحراء. مطبوعات تهامة.

زمخشري، طاهر. .(1982) ألحان مغترب (ط2). دار تهامة للنشر.

زمخشري، طاهر. .(1961) على الضفاف. مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

ضيف، شوقي. (د.ت) .الفن ومذاهبه في الشعر العربي (ط12). دار المعارف.

عتيق، عبد العزيز. (2000). علم العروض والقافية. دار النهضة العربية.

قاسم، محمد أحمد؛ وديب، محيي الدين. .(2003) علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني. المؤسسة الحديثة للكتاب.

مصطفى، عبد الله عبد الخالق. .(1981) طاهر زمخشري: حياته وشعره. مؤسسة سعيد للطباعة.

قناة مركز حمد الجاسر .(1976). .شريط الذكريات: لقاء مع الأستاذ طاهر زمخشري [فيديو.] YouTube. https://www.youtube.com/24-watch?v=Wk9Pedk7

قناة طاهر زمخشري. .(2014) حفل تكريم الأديب الراحل طاهر زمخشري 1985م / 1405هـ [فيديو] .YouTube https://www.youtube.com/watch?v=_MJNNafcdik

Journal of Human Sciences
At Hail University

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

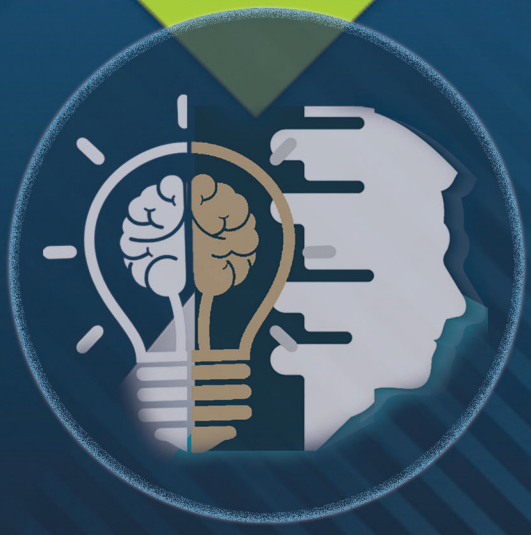

Eighth year, Issue 27
Volume 1, September 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658